باجس ابو عطوان

ـ مات البطل
ـ عاش الجبل

معين بسيسو

[١]

« لماذا أيدي الفلاحين كبيرة ...؟ »

● منذ طفولته ، ويداه مغروستان في الجمر ... حتى عقد الاصابع ... ، ومن الذي يستطيع ان يميز ، بين السنة النار ، وبين اصابع اليد الفلسطينية ؟

كان خلف « الوجاق » ، في مقهى « أبيه » ، يصنع الشاي ، يصبه في الاقداح ، ويقدمه الى الفلاحين ... ولم يكن يخطر له على بال ، أن يوما سيأتي ، وسوف يقدم فيه ، دمه ، الى الفلاحين ... ليس الى الفلاحين في « دورا » ، ولكن الى الفلاحين الفلسطينيين كلهم ... والى الفلاحين ، اينما وجدت الارض تحت أقدامهم ...

لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره ، وكان عليه ان يقطع كل ليلة ، وحينما تنطفىء غلايين الفلاحين في افواههم ... ويغادرون المقهى ، كان عليه ، ان يقطع خمسة كيلو مترات ... مشيا على قدميه ، حتى يصل الى حيث يقيم : في خربة « الطبقة »...

وفي طريق العودة ، الى الخربة ، حيث كان يسير الى جانب أبيه ، كان يحاول أن يسترجع ، ما كان يقوله الفلاحون ، وهو يتنقل بينهم يحمل اقداح الشاي ...، ولكنه لم يكن يذكر شيئا محددا من احاديثهم ... ولكنه كان يذكر شيئا واحدا ، ان أيديهم كانت كبيرة جدا ... وكأنها قد وضعت فوق صخرة ... وضربت بحجر ...

حيث كان يتعلم في مدرسة « دورا » ... لم يقرأ في الكتب المدرسية التي كانت بين يديه ... لماذا أيدي الفلاحين كبيرة ... ولماذا هي في حجم أقدامهم ...؟

● ●

... الطريق طويل من دورا ، الى خربة « الطبقة » ، والتعب قد هد الاثنين ، هد الاب ، وهد الابن ...

ولكن الصوت ، هو صديق الاقدام التي تمشي ... صديق المسافرين ...

وكان لا بد لصوته ان يرتفع :

ـ ابي ... لماذا أيدي الفلاحين كبيرة ...؟

وكأن هذا السؤال المفاجيء يوقظ الاب من حواره الطويل مع نفسه ، ولعله تردد

---

* باجس ابو عطوان من شهداء الثورة الفلسطينية ، استشهد على جبال الخليل في منطقة دورا ، يوم ١٩٧٤/٦/١٩ ، بعد ان أمضى أربع سنوات في الجبل ثائرا ومقاوما للاحتلال . لمزيد من التفاصيل راجع شؤون فلسطينية ، عدد٣٦ ، ص ٢٠٠ .